جامعة ابن طفيل

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

القنيطرة **مسلك الفلسفة**

الفصل الخامس

التدريس عن بعد   الموسم الجامعي 2020-2021

الأستاذة أمال ابريطل

وحدة الفلسفة الأخلاقية

–مدخل عام :- الفرق بين الأخلاق والإيتيقا (Morale et éthique – ما الأخلاق ؟

1- **أخلاق السعادة لأرسطوطاليس** من خلال كتاب الأخلاق إلى نيقوماخوس لأرسطو

2- **أخلاق الواجب لإيمانويل كانط** من خلال كتابيه :

- نقد العقل العملي
- وميتافيزيقا الأخلاق

3- **أخلاق المنفعة جيرمي بنتام وجون ستيوارت مل**

من خلال كتاب مذهب المنفعة لجون ستيوارت مل

المحاضرة الأولى

مدخل عام

قبل الخوض في تناول هذه المقاربات الأخلاقية المختلفة والتصورات المتعددة للمعيار الأخلاقي، لا بد من الإشارة إلى أن هذا الاختلاف بين المذاهب حول موضوع الأخلاق ومعياره تعداه إلى الاسم أو اللفظ الذي يطلقونه على هذا العلم ،حيث ظهر لفظي الأخلاق والإيتيقا « Morale et Ethique »،وفي هذا المقام يعتبر بول ريكور أن هذا التمييز بين اللفظين ليس من باب الاشتقاق ولا من باب الألفاظ المترادفة،خاصة أن اليونان استعملوا للدلالة على هذا الموضوع لفظ « Ethikos »،الذي نقله اللاتينيون إلى لغتهم بلفظ « Moralis" .كمااستعمل بعض المتقدمين من فلاسفة الغرب اللفظين معا للدلالة على آداب السلوك والفعل الخُلقي،باعتبارهما مترادفين، في حين فضل البعض الآخر استعمال أحدهما دون الآخر، حيث اعتبر البعض أن Morale الأخلاق تدل على الأوامر والمبادئ المتبعة في مجتمع معين،وتعني إيتيقا ذاك العلم المُقَيم لتلك الأفعال والسلوكات والتصرفات التي يقوم بها الإنسان . بينما نجد أن الأخلاقيين المعاصرين دأبوا في التمييز بين اللفظين، دون أن يستوفوا في هذا التمييز شرط الوضوح الاصطلاحي، ودون وضع تعريف مختلف لهما. ويعود هذا التمييز من منظور طه عبد الرحمان إلى أن كل المواقف المختلفة جاءت كرد فعل للنظرة الأخلاقية لايمانويل كانط في تفريقه بين سؤالين اثنين أحدهما: ماذا يجب علي أن أفعل؟والآخر كيف أحيا؟ على اعتبار أن الجواب عن الأول يفضي إلى تقرير أخلاق موجهة إلى الجميع،والجواب عن الثاني يفضي إلى تقرير أخلاق موجهة إلى كل فرد فرد [1]. وفي هذا الشأن سعى بول ريكور لتفكيك هذه الدلالة المزدوجة التي يحيلان إليها اللفظين معا ،معتبرا أن الإتيقا تدل على استهداف حياة مكتملة ، في حين تدل أخلاق من

[1] ـ الاطلاع على كتاب طه عبد الرحمان " سؤال الأخلاق" من ص 16 إلى ص 20 .

جهة على المعايير أي على مبادئ المباح والمحظور،ومن جهة أخرى ، على الإحساس بالواجب من حيث هو الوجه الذاتي من علاقة الفاعل بالمعايير، حسب بول ريكور. وهذا يؤدي إلى تحديد مصطلح الاتيقا،الذي يقسمه هذا الأخير إلى فرعين:اتيقا أمامية و أخرى اتيقا خلفية[2].

فما المقصود بالأخلاق اذن؟

الأخلاق هي دراسة معيارية تنحصر مهمتها في تشريع القانون الخلقي وتحديد المثل الأعلى وتفسير الكمال الأخلاقي، لذا أصبحت الأخلاق في نظر الفلاسفة دراسة معيارية للخير والشر. وقد أدخل الفلاسفة التقليديون علم الأخلاق ضمن علومهم المعيارية الأخرى، وجعلوا علم الأخلاق مثله مثل علم المنطق وعلم الجمال،فإذا كان موضوع المنطق هو قيمة الحق،وموضوع علم الجمال هو قيمة الجمال، فإن موضوع علم الأخلاق قيمته هو الخير،بدليل أن علم الأخلاق هو علم معياري كذلك،أي علم يدرس ما ينبغي أن يكون، لكون المشكلة الخلقية تتصل بأحكام القيمة أو بأحكام الوجوب.وبما أن القيمة ترتبط بالشخص، فقد سعى كل فيلسوف إلى بناء وتأسيس مذهبا أخلاقيا جديدا يخالف المذاهب القائمة ، بهدف تشريع قانون أخلاقي ومعيار يهتدي به،والدافع وراء كل هذه المحاولات تتمثل في كون الفلاسفة منذ القدم فطنوا إلى قدرة الإنسان بكونه الحيوان الناطق الوحيد الذي يستطيع أن يقاوم دوافعه، ويتحكم في غرائزه ويقمع رغباته، ومن ثمة اعتبروا أن الإنسان حيوان أخلاقي لكونه المخلوق الوحيد الذي لا يقتنع بما هو كائن ويسعى إلى ما ينبغي أن يكون .

وقد سبق أن رأيتم في الفصل الأول أن الفلسفة انبعثت من الدهشة والشك والسؤال،كذلك انبعثت الأخلاق من الدهشة والتساؤل حول مدى قدرة الطبيعة على توجيه سلوكنا،والتساؤل حول مجموعة من المفاهيم كمفهوم الخير،الشر،العدل،الظلم. وإن كنا نرغب في معرفة بداية للفكر الأخلاقي عند اليونان، فيجب أن نلمسها مع تطور الفكر الفلسفي

- [2] - يمكن الرجوع لكتاب بول ريكور العادل الجزء الثاني بعنوان من الأخلاق غلى الإتيقا وإلى الإتيقات من ص 343 إلى ص 359.

عندهم، خاصة في محاولاتهم لرد الكثرة في الطبيعة والحياة إلى الوحدة،بعدما زعزعت المقولة السفسطائية "**الإنسان مقياس كل شيء**" ثوابت المجتمع اليوناني القديم من قيم وعادات أخلاقية،فعوض اعتبار الآلهة مصدرا للقيم والأخلاق،وبدلا من ربط السعادة برضا الآلهة، أصبح الإنسان بعلمه ومهاراته وذكائه منتجا للقيم. فجاء سقراط ليثبت أن وراء هذه النسبية في القيم التي دعا إليها السفسطائيون،هناك قيم ثابتة أو ماهيات ؛ فالخير خير في كل زمان ومكان ولدى جميع الناس والشر كذلك،وليس الشر والخير نسبيان،أي يختلفان من إنسان لآخر كما جاء عند أهل السفسطة، فمثلا إطعام الجائع وإنقاذ الغريق وإرشاد الأعمى في الطريق كلها أفعال خيرة ولا أحدا يمكنه قول عكس ذلك . كما لا يمكن لأحد أن يقر أن القتل بدون حق وعن عمد ليس شرا . وإن كان هناك أناس لا يفعلون الخير ويقومون بما هو شر، فهذا راجع من منظور سقراط لعدم معرفتهم بما هو خير وما هو شر، فمن يعرف الخير لا بد أن يفعله ومن يعرف الشر لا بد أن يجتنبه،والميل للخير هو فطري في الإنسان ، بمعنى أن نفس الإنسان أو ضميره هو الذي يدفعه إلى فعل الخير، فحسب سقراط لمعرفة الخير يجب معرفة النفس أولا،لأن من يرتكب الشر فلأنه يتصور خطأ أن هذا هو الخير. وفي محاورة بروتاجوراس لأفلاطون يقدم سقراط تفسيرا لهذا القول لأن من طبيعة الإنسان السعي نحو السعادة وليس الشقاء،والحياة السعيدة هي الحياة الأكثر لذة،لكن على الإنسان أن يختار بين اللذات والمنافع بفضل المعرفة ووفقا للفضيلة،لأن المعرفة حسب سقراط هي التي تحدد أفضل السبل إلى السعادة ،فإننا عندما نخطئ ونفضل الألم على اللذة ،فهذا راجع إلى الجهل لذا يقول سقراط " يا أيها الإنسان إعرف نفسك بنفسك" ومعنى هذه القولة أن الدخول في حوار وتأمل وتفكير دائم مع نفسك لمعرفتها و للبحث عن الخير ومعرفته وتجنب الشر لتحصل لك السعادة . فسعادة الإنسان قد تكون في المال واللذة والشهرة والسلطة ...الخ، ولكنها سعادة تزول بزوال ما ترتبط به، بينما سعادة المعرفة والعلم والحكمة من منظور سقراط هي وحدها الدائمة وهي الخير الأعظم الذي يجب أن يطمح إليه الجميع .

كما قام أفلاطون تلميذ سقراط،وهو من روى كل ما نعرفه عن أستاذه،بتطوير أفكار سقراط،والتعمق فيها و إضفاء طابع النسقية عليها. وفي هذا الإطار يرى أفلاطون أن ما يعتبر نسبي،أي ما يصدق عليه قول السفسطائيين " الإنسان مقياس كل شئ " هو هذا العالم الحسي المتغير الذي يطبعه التعدد والتغير، لأن وراء هذا التعدد والتغير هناك نماذج أو مُثل ثابتة تمثل حقائق الأشياء ،أي العالم المعقول،عالم المفاهيم المجردة. فالخير مفهوم ومثال خير في ذاته . فالإنسان له بدن ونفس،الجسم ينتمي إلى عالم المحسوسات والنفس إلى عالم المثل أي العالم المعقول،والنفس عبارة عن ثلاثة قوى :النفس الشهوانية، النفس الغضبية،النفس العاقلة. وإذا تأملنا هذه القوى أمكننا الوصول بسهولة إلى النتيجة التالية:الناس يختلفون حسب أفلاطون في تصرفاتهم وسلوكاتهم باختلاف درجة سيطرة هذه القوة أو تلك ،فالإنسان الذي يغلب على سلوكه حب الشهوات والرغبات يكون إنسانا ماديا أنانيا ومن ثمة فقد سيطرت عليه القوة الشهوانية. ومن يكون عدوانيا ظالما لا يرحم فقد سيطرت عليه القوة الغضبية .ومن يكون حكيما مُعرِضا عن الشهوات متجنبا للجور والظلم فقد سيطرت عليه القوة العاقلة، لأن من خصال القوة العاقلة التفكير المتأمل والتمييز والروية والتدبر في العواقب، وحتى يحقق الإنسان التوازن ،من منظور أفلاطون،عليه تنزيل القوة الشهوانية منزلة العفة، والغضبية منزلة الشجاعة، والعاقلة منزلة الحكمة،فإذا حصل هذا التوازن عاش الإنسان سعيدا .

فهل يكفي العلم أو المعرفة للحصول على السعادة ؟ وهل كل العلوم وكل اللذات تحقق السعادة؟

لا يرى أفلاطون مانعا في تحصيل جميع العلوم، بينما يلح بخصوص اللذات على ضرورة التمييز منذ البداية بين اللذات الحقيقية. كما ناقش أفلاطون طبيعة اللذة وعلاقتها بالخير والسعادة في العديد من محاوراته كمحاورة "بروتاجوراس ،جورجياس، حيث قدم مجموعة من الحجج في هذه المحاورات وهي كالتالي :

أ - أن الإنسان يحصل على اللذة والألم بالتعاقب ،ويتخلص منها في آن واحد،فالجوع في ذاته مؤلم ولكن تناول الطعام يخلق لذة، الظمأ مؤلم وشرب الماء ممتع، وعليه يشعر الإنسان بتعاقب ألم الظمأ ثم لذة شرب الماء ثم ظمأ وبعدها لذة، أي بتعاقب اللذة والألم. بل قد يحصل لدى الإنسان في وقت واحد الألم واللذة ، وعليه فمن غير المعقول أن يكون الإنسان سعيدا وشقيا في آن واحد إذا اعتبرنا أن اللذة هي السعادة والألم هي الشقاء . لذا فاللذة شيء آخر غير الخير والسعادة .

ب - أن اللذة تنتهي بانتهاء الرغبة كما ينتهي ألم الجوع بحصول الطعام، وبعد الأكل ترتفع اللذة والألم معا، واذا اعتبرنا اللذة خير والألم شر إذن الإنسان ينقطع عن الخير والشر في الوقت ذاته وهذا مستحيل .

ت - الأشرار والأخيار،جميعهم يسرون ويتألمون بدرجات متساوية تقريبا مع أنهم ليسوا على درجات متساوية من الخير والشر لذا فاللذة ليست مقياسا للخير كما أن الألم ليس مقياسا للشر .

ث - الخير ليس هو اللذة أو السرور فحتى التعقل والرأي السديد رغم أنهما أفضل من اللذة ومع ذلك لا نستطيع أن نجد الخير فيهم ا دائما لأن الخير كامل ويكتفي بذاته عكس هذه الأمور كلها.

رفض أفلاطون أيضا اللزوم كما أقر به سقراط ،الذي مفاده أن من يعرف الخير لابد أن يفعله ومن يعرف الشر عليه أن يجتنبه، بحجة أن الإنسان قد يعرف الخير ولا يفعله،ويعرف الشر ويقترفه،بمعنى أن الإنسان قد يعرف أن إطعام الجائع خير ومع ذلك لا يطعمه، وقد يعلم أن شهادة الزور شر ومع ذلك يشهد بالزور. ومرد ذلك عند أفلاطون إلى أن العقل ليس وحده الموجه للمعرفة، بل المعرفة تنتقل من العقل إلى القلب أو الوجدان. بمعنى قد يدرك الإنسان الخير بالعقل ولكن لا يميل إلى فعله،إذن إلى جانب العقل هناك الوجدان. بالتالي فالقيم الثابتة والمطلقة إنما توجد في عالم المثل كحقائق ثابتة، بينما ما يوجد في الواقع ما هي إلا صورا لتلك الحقائق ،فعالم المحسوسات يسود فيه التعدد

والاختلاف. والسؤال الذي يطرح إزاء دليل أفلاطون هذا هو هل عدم لزوم فعل الخير أو فعل الشر عن المعرفة بهما ناتج عن اختيار أم اضطرار؟ أو بعبارة أوضح هل عدم اللزوم ناتج عن قصد واختيار أم عن عجز واضطرار؟

في هذا الاطار نجد تحليلا معمقا لهذه الإشكالات في تناول أرسطو لنظريته في الأخلاق،وذلك من خلال إضافته للإرادة الفعالة إلى جانب العقل الذي أقر به سقراط والعاطفة أو الوجدان المضاف من طرف أفلاطون، فالإنسان من منظور أرسطو في حاجة لإرادة فعالة تحثه على الفعل والسلوك الخلقي الخير ،وتبعده عن الشر والضرر، والفضيلة في نظر أرسطو ليست علما وإيمانا فحسب،بل هي أيضا إرادة قوية وفعالة.

" انتهت المحاضرة الأولى "